مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ٧/٥/١٩٧٦

على أبـــواب المرحلة الصعبة

في اجتماعنا مع الرئيس انور السادات ، يوم الاثنين الماضي ، تحدث الرئيس باستفاضـــة عن « بنـــاء الفرد الديمقراطي » ، وقال الرئيس ان هذه المهمة تشـــغل الان كل وقته ، وأصـــبحت من الموضـــوعات التى تحتل المرتبة الاولى فى تفكيره ..

وبناء الفرد الديمقراطى مهمة ليست سهلة ذلك انها تعنى بناء امة باكملها على اساس ان كل الدول المتقدمة ينبع تقدمها ويقوم على ابناء هـــذه الامة ومدى جديتهم فى العمـــل والتزامهم بالمجتمع الذى يعيشون فيه .

وهـــذه المهمـــة فى اعتقادى ليست صعبةوفى نفس الوقت فانها ليست سهلة ..

بمعنى ..

انها ليست صعبة اذا كانت مهمة مقصورة على تصرف الدولة فقط .. اى ان توفر الدولة كل الامكانيات وتخلق الجـــو الذى يتيح بناء الفرد..تماما كالمزارع اذا أراد ان يحصل علىمحصول وفير عليـــه ان يهيىء الارض تهيئة علمية لكى تدر له ما يريده لها ومنها ..

اذن فالدولة يمكن ان تضع ثقلها فى بناء الاساس القوى ومن هذا الاساس ينبت الفرد فى بيئة صالحة فيتاثر بهـــا ويؤثر فيها .

وهى مهمة ليست سهلة لانها تعتمد فى نفس الوقت على مدى

استجابة الفرد للبناء والتفاعل مع المجتمع والتزامه بالمسئولية تجاه بلده .

ذلك اننـــا لو كفلنا مثلا لكلية من الكليات أفضل الاساتذة علما واعطوا لطلبتهم ما عندهم عطاء سخيا فيه العلم وفيه الخبرة .. هل يكفى ذلك لكى ينجح الطلبة فى الامتحان فى نهاية العام ..

بالقطع لا ..

فالطـــالب لابد ان يرجع الى كتبه ويذاكر ما فيهـــا مستفيدا بما سمعه من اساتذته ، وهنـــا يستطيع فى نهاية العام ان يؤدى الامتحان وينجح بتفوق ..

وبناء الفرد لا يختلف ..

رئيـــس الدولة يعبىء كل امكانيات الدولة لوضع الهياكل السليمة لبناء الفرد ..

ثم يســـتجيب الفـــرد لذلك ويباشر مسئوليتـــه ودوره فى المجتمع ويرتفع مستوى الاثنين معا وفى خطين متوازيين ..

وقبل المضى فى التفـــاصيل هناك سؤال يطرح نفسه :

□ هل بناء الفـــرد المصرى مسألة صعبة ؟

والاجابة تكمن فى استعراض تاريخ الشعب المصرى .. اقدم شـــعوب العـــالم ، وأكثرهـــا حضارة ..

نضاله مدون .. وتاريخه يدرس فى كل مدارس العالم . .وحضارته ستبقى مع الزمان اعظم واعرق الحضارات ..

وهذه الاجابة تثير تســـاؤلا يفرض نفسه ..

ـــ لمـــاذا اذن تخلف الشعب المصرى ، ولم يستطع ان يعطى تلك الحضارة صفة الاستمرار والتطور ؟

أقولها بصراحـــة ان السبب فى رأيى هو « الوصاية » . لقد فرضت الدولة وصايتهـــا على الشعب ، ولم تترك له حـــرية الخيار ، ولا حرية التطور ..

أخذت الدولة على عاتقها ان تبنى له المساكن ..

وأن تجد له المكان فى المدرسة ..

وأن تهيىء له الوظيفة لكى يقبض منها المرتب دون ما اهتمام بالعمل نفسه ..

حتى الطعام لا اكون مبالغا اذا قلت انها ـــ اى الدولة ـــ حددت له مايأكل وما لا يأكل ..

الى آخـــره .. الى آخـــره ..

فاذا اضفنـــا الى ذلك مستوى الدخل المنخفض وزيـــادة نســـبة الاميـــة استطعنا ان نجد الاجابة على السؤال .. وكانت النتيجة الطبيعية لهذا كله

ان اصبح الفرد عبئا على الدولة ، وفقد الاحساس بالمسئولية ، والمبالاة .

وفوق كل ذلك لقد صادفتنا ظروف صعبة .. بعضها فرض علينا ، والبعض الاخر صنعناه نحن بانفسنا ..

ولست اريد هنا ان ادخل فى تفاصيل تلك الظروف فقد كثر الحديث عنها واظن اننا قد تخطينا الان مرحلة الحساب عن الماضى ، فالتطلع الى المستقبل هو شغلنا الشاغل الان على اساس الاستفادة الكاملة من تجارب الماضى حتى لا يتكرر الوقوع فى الخطأ ..

وبدأت مرحلة التطور بثورة التصحيح فى ١٥ مايو .. كانت البداية لاعادة المسار الى الطريق السليم فسقطت مراكز القوى، وتخلصنا من الشللية .. ومع سقوط تلك المراكز اغلقت المعتقلات ،وبدأت سيادة القانون تأخذ طريقها لكى تكون هى علامة الطريق الجديد ..

ثم تلا ذلك قيام المؤسسات .. كل مؤسسة تعرف مسئوليتها ..

وكانت تلك كلها خطوات الى الامام استعدادا للمعركة .. وعبأت الدولة كل جهودها واعطت لقواتها المسلحة كل ما تستطيع وتقدر استعدادا لليوم الكبير ..

وجاء اليوم .. ودخلنا حرب اكتوبر المجيدة .. وانتصرنا فى الحرب ..

وبهذا النصر تخلصنا من التمزق .. ومن المعاناة التى شاركت فى تحطيم معنويات الشعب المصرى .. وردت الينا كرامتنا وعزتنا ..

ومن المؤكد أن حرب اكتوبر ونتائجها كانت بداية لصفحة جديدة ، ناصعة ومشجعة ، لميلاد جديد لشعب مصر ..

وكانت البداية استكمالا لما قبلها ..

المزيد من الحرية والديمقراطية بوصفهما غطاء الذهب لبناء الفرد ..

اى ان عملية بناء الفرد بدات بهدوء قبل حرب أكتوبر ثم دارت العجلة بالسرعة المطلوبة بعد النصر ..

والبدء كان بحرية الصحافة..

وحرية الصحافة تعنى فتح النوافذ ليتجدد الهواء النقى كل يوم ولمنع – نهائيا – تلوثه حماية لصحة المجتمع نفسه فضلا عن افراده .

وكان طبيعيا ان يواكب ذلك ان تعود الديمقراطية لتفرض نفسها ـ اسلوبا وعملا ـ لا مجرد شعار يطلق ..

وكان البحث : كيف ؟

وطرح الموضوع للمناقشة العريضة والحوار على أوسع مدى لكي نصل عن طريقه الى الصيغة التى يمكن لنا ان نطبق فيها الديمقراطية السياسية بما يتلاءم مع ظروفنا وأوضاعنا ، وبما يتفق مع الحرمان لسنوات طويلة من ممارسة العمل السياسى وقيد الرأى الواحد الذى قيدنا جميعا .

وكان علينا أن نجاوب من خلال الحوار على سؤال هام .

ـ هل نطلق الحرية لقيام الاحزاب السياسية ؟

واذا اطلقناها ، هل نحدد عدد الاحزاب ؟

وعلى اى اساس يكون هذا التحديد ؟

وأهم من هذا كله : هل يمكن ان تقوم الاحزاب بقرار من القيادة السياسية ؟

ثم نتيجة للمناقشة كما قلت انتهى الامر الى اختيار اسلوب آخر هو اسلوب التنظيمات السياسية داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ..

وقامت التنظيمات الثلاثة ـ او هى بسبيلها للقيام ـ على اساس أهداف محددة ،وبرامج واضحة ، دون حساسية ،ودون حرج ..

وقد تكون الفروق بين التنظيمات الثلاثة غير واضحة فى اذهان الناس حتى الان ، وربما يعود ذلك :

□□ اما الى ان كل تنظيم مازال يتحسس طريقه ..

□□ واما الى ان وجودها داخل اطار الاتحاد الاشتراكى يوجد نوعا من التقارب فى برامجها ..

ومع ذلك فالممارسة العملية وحدها هى التى ستسلط الاضواء على كل تنظيم وتكشف للجماهير فكر كل تنظيم واتجاهاته .

المهم فى هذا كله ان التنظيمات الثلاثة تستمد شرعيتها من عاملين :

● اولهما تواجدها داخل اطار الاتحاد الاشتراكى .

●● وثانيهما الالتزام بحتمية الحل الاشتراكى والمحافظة على المكاسب التى حققناها ..

بعد هذا فالخيار مطروح أمام الجماهير بلا ضغوط ..

أمام الجماهير ثلاثة تنظيمات محددة البرامج — كما قلت — وعلى كل مواطن ان يختار التنظيم الذى يرى فيه الطريق لخدمة مصر عن طريق العمل السياسى ..

وهنا — وعند هذا الوضع بالذات — فالمسئولية تقع على عاتق الجماهير .. ذلك لانها صاحبه الحق فى الاختيار الذى يجب أن يتم على اساس الاقتناع لا الانتهازية ، وعلى الايمان بالمبدأ لا طريقا للوصول الى منصب او منافع شخصية ..

وهذا — فى رأيى — مسئولية المسئولين عن التنظيمات اولا وقبل غيرهم فهم مطالبون الا يقبلوا بين صفوفهم الا العناصر الجادة ، الراغبة فى العمل والمشاركة المرتبطة بمصلحة مصر وليس بمصلحة شخصية او مكاسب ذاتية .. وقوة أى تنظيم سوف تتركز اساسا فى البشر المنضمين اليه وطريقة تحركهم ووعيهم وبعدهم عن المظهرية وعزوفهم عن الوثوب الى المراكز والمناصب **انما يجب ان يكون شاغلهم الاول هو الخدمة العامة التى تفرضها مصلحة البلد .**

ولابد من كلمة تقال نضع بها النقط فوق الحروف .. وهى ان نعقد مقارنة بين ما كان وما يجب أن يكون ..

بين الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى وبين التنظيمات السياسية الجديدة ..

من العوامل التى شكلت عقبة فى طريق بروز الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى يقود الجماهير ، أن عددا كبيرا من الذين انضموا اليه ، لم يجىء انضمامهم نتيجة ايمان بالفكرة أو رغبة فى العمل .. وانما كان وسيلة للظهور وتحقيق المكاسب والاستفادة سواء ماديا أو أدبيا من المواقع التى هم فيها ، ولذلك فقدت الجماهير ثقتها — الى حد ما — فى فاعلية التنظيم واهميته .

وفى ضوء هذه الحقيقة ، فان المطلوب من التنظيمات الجديدة أن تقنع الجماهير عامة — وأعضاءها بصفة خاصة — بجدية العمل ، وتعطى الفرص المتكافئة للجميع لكى يعملوا ويشاركوا ويسهموا فى جو ديمقراطى حقيقى لا يقتصر على فئة بذاتها ..

والمرحلة القادمة اى التى تبدأ من الان وحتى تجرى انتخابات مجلس الشعب ، وهى مرحلة هامة فهى بقدر جديتها بقدر ما سوف تنجح التجربة وذلك بانتخاب مجلس شعب يعبر تعبيرا صادقا عن الجماهير العريضة التى ستدلى باصواتها لترشحى التنظيمات الثلاثة ..

وأعود الان من حيث بدأت ..

ان المهمة — مهمة بناء الانسان الديمقراطى — تتوقف على مدى استجابة الجماهير بعد ان اختارت هذا الاسلوب بمحض ارادتها ..

والرئيس السادات فى هذه المهمة لا يبنى عمارة .. فبناء العمارة سهل لا يخرج عن وضع الرسوم واعداد المواد اللازمة للبناء ثم تشكيلها دورا فوق الاخر، فالمواد الصماء تصبح لينة مطيعة فى ايدى المهندس مادام يلتزم بالقواعد اما بناء الانسان فهو مهمة صعبة لانه فى ذلك يتعامل مع كائنات حية لابد وان تدرك دورها فى البناء وتقدر مسئوليتها فيه ..

ويقينى ان الشعب بعد حرب اكتوبر قد عثر على نفسه ، وخرج من حالة الضياع التى كان يعانيها والتى كانت سببا مباشرا فيما وصلنا اليه .

علينا ان نأخذ المثل والعبرة من الغير ..

علينا ان ننظر الى شعب المانيا وكيف استطاع ان يبنى نفسه بعد الحرب التى دمرته تدميرا كاملا ..

وكذلك شعب اليابان ..

ونفس الشىء بالنسبة لشعب الصين ..

لقد نجحت هذه الشعوب فى ان تبنى نفسها لان الفرد فيها أحس بمسئوليته ليس فقط تجاه نفسه وأسرته لكن اولا وقبل ذلك أحس بها تجاه بلده فعمل وضحى وأعطى دون ان يطالب بالجزاء .. لانه ادرك انه لا جزاء بلا عمل وانتاج وتضحية ..

وعندما يقول رئيس الجمهورية اليوم انه مشغول بعملية بناء الانسان الديمقراطى قبل اى شىء آخر فهذا امر لم يبدأه اليوم ولا امس ولكنه بداه منذ ١٥ مايو ووضع حساباته منذ ذلك الوقت.

اقام دولة المؤسسات .

وانهى حالة التمزق بالنصر فى حرب اكتوبر .

ثم حقق حرية الصحافة .

ولاشك ان الانفتاح الاقتصادى

هو أيضا خطوة هامة على طريق بناء الانسان ..

وهاهو الان يتيح للديمقراطية السياسية فرصة ضخمة ويحيطها بكل ضمانات النجاح.

وعلينا نحن ـ بكل فئات الشعب العاملة ـ ان نشارك مشاركة ايجابية ، صادقة ، ومخلصة فى حماية هذه الضمانات وفى دعم التجربة..

فمهما صادفنا من مصاعب ، فلنثبت للعالم كله اننا لا نقل قوة ، ولا مسئولية ، ولا التزاما ، ولا وطنية ، عن شعوب أخرى سبقتنا الى البناء □

على حمدى الجمال